البَرِيدُ الأَدَبِيّ

كتاب عن لوتر

صدر أخيراً فى فرنسا كتاب عن مارتن لوتر زعيم ألمانيا الروحى ، وقد صدرت عن لوتر كتب عديدة بمختلف اللغات ، ولكن هذا الكتاب الأخير يمتاز بطرافة تصويره للرجل الذى صدع من وحدة الكنيسة الرومانية واستطاع بثورته عليها أن ينشئ إلى جانبها مذهباً نصرانياً جديداً هو « البروتستانتية » الذى تتبعه عدة من الأمم العظيمة مثل ألمانيا وانكلترا ومعظم الشعب الأمريكى . وهو من وضع العلامة المؤرخ فرنر فونك برنتانو عضو المجمع العلمى الفرنسى . وفونك برنتانو مؤرخ وافر البراعة والقوة ، وافر الطرافة قبل كل شئ ، وهو اليوم فى نحو الثمانين من عمره ولكنه مازال دائب البحث والأنتاج ، وكتبه وبحوثه تثير دائماً فى الدوائر العلمية كثيراً من الاهتمام والتقدير . وله فى بعض الشخصيات والمسائل التاريخية نظريات جديدة ؛ مثال ذلك أنه فى كتابه عن « لوكريزيا بورجيا » ابنة البابا اسكندر السادس يذهب فى شأنها إلى رأى جديد ، ويصور هذه المرأة التى صورتها التواريخ والقصص ، عاهراً من أشنع وأخطر نوع ، سيدة عفيفة وزوجا أمينة مخلصة ، وقديسة محسنة ، ويدعم رأيه بالوثائق والوقائع التاريخية ؛ ومن رأيه أيضاً أن لويس الخامس عشر ملك فرنسا الفاجر المنهتك ، قد ظلمه التاريخ ، وأنه لم يكن كما صور من إغراق فى التبذل والغواية ، وأن سجن الباستيل لم يكن دائماً كما تصوره التواريخ معتقلاً مروعاً تخمد فيه الرغبات والأنفاس ، ولكنه فى أحيان كثيرة كان يغدو من الداخل قصراً أنيقاً تقام فيه المآدب والحفلات الشائقة ، بل وتهب فيه ريح الغرام والحب ؛ وهكذا

أما لوتر فمن هو وما هو ؟ هو نوع من البركان أو اللهب تنفست عنه ألمانيا فى القرن السادس عشر ، وهو ليس بقس فقط يحاول ثورة على الكنيسة ، ولكنه رجل عظيم يضطرم بالمثل الانسانية العامة ؛ ومتصوف لا تضيره العزلة ، ولكنه لا يرى الكمال فى إخضاع النفس والشهوات ؛ وهو من الوجهة الاجتماعية « محافظ » ، وقد بذه من الوجهة الأخلاقية أحبار مثل البابا اسكندر بورجيا ، فلم يخرج على الأخلاق والحشمة خروجهم ، وما هو الزواج وشرب النبيذ ؟ وقد أثارت نزعة « الأحياء » كل مسألة فى كل مكان ، ولكن لوتر لم يثر سوى مسألة واحدة هى « تنظيم الجمهورية النصرانية » ثم هو يمثل فى ثورته روح الوطنية الألمانية الصميمة ، فهو يبث الرعب والروع من حوله ، ولكن من ورائه ، بعيداً عن الفكرة الدينية ، شعوب ألمانيا كلها ؛ أحباراً وأمراء وشعباً

ومن هو لوتر من الوجهة الشخصية ؟ هو رجل قوى البنية جاف اللامح ، شاعر متواضع ، وخطيب مفوه ، ومجادل قوى الحجة ، ومتصوف مكتئب ، وموسيقى ، وشجاع حين تجب الشجاعة ، ووديع ذليل إذا خلا بنفسه ، مضطرم الذهن ، يفيض رأسه دائماً بالتصورات الروعة ؛ عدو الطبقات الرفيعة ، دون أن يعرف كيف أو أنى يسير

أما الثورة على روما فليس من المحقق أنه كان يرمى إلى الانشقاق عليها ، ولعله كان يؤمل منها الأذعان والتسليم ؛ ولعله كان يعتبر نفسه مصلحاً فقط للكنيسة ، وهو ما يخلق بقس ذكى ؛ وهناك ريب فى أنه كان يعمل لانهيار هذا الصرح الشامخ الذى شادته الكنيسة خلال القرون ، وأقامته فوق التوازن بين قوتين : زعامة الكنيسة الروحية ، وسلطة أوربا الدنيوية . وأن أوربا فى القرن العشرين ، أوربا المضطربة ، لا تستطيع إدراكاً لتلك الوسائل التى لجأ إليها هذا القس البارع — زعيم ألمانيا وزعيم الفردية — فى تحقيق هذا الانقلاب العظيم

هذا هو ملخص الصور المختلفة التى يقدمها العلامة فونك برنتانو عن بطل ألمانيا القومى وبطل البروتستانتية فى كتابه الجديد

البحث عن أصل الانسان

ما زال البحث عن أصل الاجناس البشرية من أهم المسائل التي يعنى بها العلم الحديث ؛ وفي كل عام توفد البعوث العلمية المختلفة الى مختلف الأقطار المجهولة لتجرى فيها ما تستطيع من التحقيقات والمباحث التي تلقي الضـــياء على أصل الانسان والأجناس البشرية ، وقد أعدت أخيراً في فرنسا بعثة جديدة لمعالجة هذه الباحث في مجاهل أفريقية ؛ وذلك تحت رعاية وزارة المعارف الفرنسية ، ومعهد علم الأجناس ، ومؤسسة روكفلر العلمية ، وانتخب لرآسة البعثة علامة ومكتشف شاب هو المسيو مارسل جريول الذي برهن على مقدرة خاصة في القيام بمثل هذه الباحث . وقد قاد المسيو جريول قبل ذلك بعثة في قلب أفريقية قطعت ما بين دكار عاصمة السنغال في الغرب وجيبوتي على البحر الأحمر في أقصى الشرق ، ما بين سنتي ١٩٣١ ، ١٩٣٣ ؛ وقام قبلها أيضاً برحلة علمية في الحبشة ، ونشر عنها كتاباً كان له وقع عظيم عنوانه « حملة المشاعل للانسان » . والبعثة الجديدة مكونة من تسعة أعضاء ، منهم مصور سينمائي وثلاث سيدات ، وتنوي البعثة أن تبدأ بالسيارات من غرب أفريقية متجهة نحو الشرق بطريق بلاد الدوجون والهابيس ومرتفعات بانديا جرا ومنحنى نهر النيجر ؛ وهي أنحاء اخترقها جريول من قبل ووضع عن خواصها وأحوال سكانها بحوثاً قيمة . وكان أهم ما لفت الأنظار ما كتب عن هؤلاء السكان السود من الحقائق الغريبة ، وهي أنهم يعيشون في كهوف من الصخر رتبت مخادع صغيرة ؛ وكل مجموعة من الربى تكون قرية خاصة ؛ وهم يعيشون في جو من التقديس يفيض بذكر الآلهة والخرافات الغريبة ، ويعنون بصنع الأقنعة المقدسة والوشم المقدس ؛ ولهم رسوم دينية مدهشة ؛ والسحر ذائع بينهم ، وتكثر بينهم الرموز الخفية ؛ وعلى الجملة فهم أكثر الشعوب تمثيلاً للانسان الأول وعصر ما قبل التاريخ . وستعنى البعثة باستيفاء هذه البحوث والحقائق ، ويعنى السيدات المرافقات للبعثة بدرس أحوال النساء ونظام الأسرة في هذه الأنحاء

أزمة الفنون

كان للأزمة الاقتصادية أثرها في المسرح الفرنسي ؛ فأغلق كثير من المسارح ودور اللهو المعروفة ، وخفضت مرتبات مشاهير الممثلين والفنانين ، وظهر هذا الأثر قوياً في مسرح الحكومة الرسمي (الكوميدي فرانسيز) أشهر مسارح فرنسا ، وعجز دخله عن أن يفي بنفقاته ، وأحدثت هذه الحالة في نظام المسرح العظيم اضطراباً لم يسبق أن عاناه ؛ واهتمت وزارة المعارف الفرنسية بالأمر وأخذته بين يديها ؛ وتباحث وفد من أقطاب الكوميدي فرانسيز مع وزير المعارف في الحلول الممكنة ، وطلب أن ينظر بالأخص في معاشات أعضاء المسرح المحالين على المعاش لأن كثيراً منهم غدا في حالة يرثى لها . وكان من الحلول المقترحة لمعالجة الأزمة أن تقوم فرقة الكوميدي فرانسيز برحلات في الخارج ، في إيطاليا وأمريكا الجنوبية وغيرها ، وفي القاهرة الآن فريق من ممثلي هذا المسرح الشهير يعملون في دار الأوبرا الملكية

شتيفان جروسمان

من أنباء ڤينا أن الكاتب النقادة شتيفان جروسمان قد توفي في سن الحادية والستين ، وكان جروسمان كاتباً وصحفياً كبيراً ، ولد بمدينة ڤينا ، ونشأ بها ؛ وظهر في الصحافة بكتاباته النقدية القوية ، وعني جروسمان بالمسرح وشئونه عناية خاصة ، وكان له رأي في المسرح ينادي به ويعمل له ، وهو أن يكون المسرح شعبياً محضاً ، ينشأ للشعب ولثقافة الشعب ؛ وقد ذاعت فكرته مدى حين في مدينة الفنون والمسارح (ڤينا) وغدت حركة حقيقية ، ولكنها لم تفض الى نتائج عملية . وكان جروسمان يرسل صيحاته النقدية والاصلاحية على صفحات في الصحف النمسوية الكبرى مثل « النوبه فرايه پريسيه » و « التاجبلاط » وغيرها ، ومنذ أعوام غادر جروسمان ڤينا الى برلين ، واشتغل هنالك بالصحافة والشئون المسرحية أيضاً . ثم عاد الى ڤينا بعد روح من الزمن ، وفيها توفي منذ أسبوعين

في جامعة السوربون

توفي العلامة المؤرخ رايمون جيو أستاذ التاريخ بجامعة السوربون في السابعة والخمسين من عمره . وكان مولده باريس سنة ١٨٧٧ ، وتخرج من مدرسة المعلمين العليا (النورمال) ونال الأستاذية في التاريخ . وتولى التدريس زمناً قبل أن يجلس على « الكرسي » . ولما توفي المسيو أميل بورجوا الذي كان يشغل كرسي التاريخ في كلية الآداب ومدرسة العلوم السياسية ، عين مكانه فيه الأستاذ جيو . وللعلامة المتوفى كتب ورسائل كثيرة في موضوعات تاريخية مختلفة ولا سيما مسائل أوربا الحديثة

الكتب

كتاب تتمة اليتيمة

للثعـــالبي

نشره وقدم له الأديب عباس اقبال

مررت بباريس قبل سبع سنين ، فزرت الأديب العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني لأفيد من علمه الغزير ، ولقيت عنده الشاب الأديب عباس اقبال ، وكنت قرأت في كتاب للعلامة القزويني أن الثعالبي أكمل اليتيمة في كتاب سماه تتمة اليتيمة ، وأن نسخة منه في مكتبة باريس ؛ فتكلمنا يومئذ عن الكتاب ، وعزمت أن أشير على لجنة التأليف والترجمة بطبعه . ثم ضرب الزمان ضربانه حتى ذهبت الى طهران هذا العام فاذا صديقنا الأديب عباس اقبال قد طبع التتمة في جزءين صغيرين طبعاً متقناً وجاء يهديها الىّ ، فسررت كل السرور بطبع هذا الكتاب القيّم ، وأثنيت على جهد الأديب اقبال وهمته

وإني لراج أن يذيع الكتاب بين الأدباء ليكمل به نقص اليتيمة

وفيما يلي ترجمة المقدمة الفارسية التي كتبها الأديب النابغة عباس اقبال لهذا الكتاب :

الأمام أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ ــ ٤٢٩ هـ) أديب من أدباء إيران النابغين ، أمضى معظم عمره ، أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس ، في تأليف كتب كثيرة في فنون شتى من الأدب واللغة والتاريخ . وكتب مؤلفاته كلها باللغة العربية اتباعاً لسنة ذلك العصر ، إذ راجت سوق هذه اللغة واستأثرت بالعلوم واتسعت وعمت . ونحمد الله على أن أكثر مؤلفات الثعالبي ، وبعضها رسائل صغيرة ذات أوراق قليلة ، لم تذهب بها الحادثات

من كتب الثعالبي كتاب يعد من أجل كتبه ، واليه يرجع أكثر صيته ، وهو كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . كتب الثعالبي نسخته الأولى سنة ٣٨٤ ، ونسخته الآخرة بين سنتي ٤٠٢ و٤٠٧ . وأودعه من آثار الشعراء المعاصرين والذين تقدموا زمانه بوقت قصير ، وضمنه بعض أخبارهم

قسم الثعالبي كتاب اليتيمة أربعة أقسام : القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، القسم الثالث في محاسن أهل الري وهمذان واصفهان والجبل وما يتصل بها ، القسم الرابع في محاسن أهل خراسان

والكتاب لا يعنى كثيراً بأخبار الشعراء الذين ترجم لهم الثعالبي في الأقسام الأربعة كما يعنى بذكر أشعارهم ، ونبذ من منثورهم أحياناً ، ولكنه مع هذا يشتمل على كثير من الفوائد التاريخية المهمة ، ولا سيما في القسمين الثالث والرابع اللذين يتضمنان تراجم الشعراء الذين عاشوا في إيران وما يتصل بها . وهو من هذه الجهة يحوي فوائد قيمة ، وبعض الشعراء الذين ترجم لهم الثعالبي في هذين القسمين ممن عرفوا في عُرف ذلك العصر بالشعراء ذوي اللسانين : أي الذين نظموا بالعربية والفارسية . وقد أثبت في مواضع ترجمة بعض شعرهم الفارسي ، وفي موضع أو اثنين نماذج من شعرهم الفارسي أيضاً . وهذه النبذ على قلتها ذات خطر يجعل اليتيمة من المنابع المهمة ، لتحقيق تاريخ إيران وتاريخ الأدب الفارسي في القرنين الرابع والخامس

وقد ذيّل اليتيمة كتّاب آخرون ، ساق كل منهم الكلام من حيث انتهى الثعالبي إلى زمانه هو . وأكثر هذه الذيول انتشاراً كتاب دمية القصر لعلي بن الحسن الباخرزي تلميذ الثعالبي . ويُعتبر ثاني اليتيمة في القيمة والفوائد التي ذكرنا . ويؤسفنا أن الدمية على مكانتها الأدبية لم تطبع حتى اليوم : والطبعة الناقصة المشوهة التي طبعت في حلب قبل بضع سنين لا تعدل فلساً . وأول من ذيل اليتيمة فأكمل نقصها بذكر الشعراء الذين نسيهم المؤلف أو لم يظفر بشيء من أشعارهم وأخبارهم حين التأليف ، أو نَبَغوا بعد انتشار الكتاب ، هو الثعالبي مؤلف اليتيمة نفسه . ويؤخذ من مقدمة النسخة النهائية للمجلد الأول من اليتيمة أنه جدّ منذ نشر النسخة الأولى سنة ٣٨٤ في تكميل اليتيمة والزيادة عليها . حتى تسنى له أن ينشر النسخة الأخيرة بين سنتي ٤٠٢ و ٤٠٧ ، وأهداها إلى الأمير أبي العباس مأمون

ابن مأمون خوارزمشاه المتوفى سنة ٤٠٧ فى سن ٣٢ [1]

وبعد ما يقرب من عشرين سنة من انتشار النسخة الأخيرة من اليتيمة ألف الثعالبي كما يقول هو فى مقدمة النسخة التى بأيدينا كتاباً لطيفاً على نسق اليتيمة وترتيبها سماه تتمة اليتيمة ، أراد به أن يرفع نقص اليتيمة ويجبر كسرها وأن يكون ضميمة للكتاب الأصلى تبلغ به اليتيمة الحدّ الذى بلغه جهد الثعالبي . ومعنى هذا أن كتاب اليتيمة ناقص بدون هذه التتمة ؛ وقد عرف ذلك الثعالبي نفسه . ذلكم بأن الذيل الحاضر ، يحتوى على أسماء كثير من الشعراء الذين أغفلتهم اليتيمة أو نبه شأنهم بعد انتشارها ، فضلاً عن أنه يعين على إكمال تراجم عدة من الشعراء الفضلاء الذين ذكروا فى اليتيمة . فالتتمة ذات خطر كبير ولا سيما قسمها الرابع الذى يتضمن أخبار أركان الدولة وأعيان الحضرة أى المنشئين والمستوفين والأدباء والشعراء الذين التفّوا حول الملوك الغزنويين . هذا القسم يعد أعظم أقسام هذا الكتاب من حيث إنارته مواضع مظلمة من تاريخ إيران وآدابها ، واشتماله على أنباء كثير من الوزراء والمنشئين والشعراء والأدباء النابهين

ألف الثعالبي كتاب التتمة فى أيام السلطان مسعود الغزنوى ما بين سنتى ٤٢٤ و ٤٢٩ وثبتُ هذا أن سنة ٤٢٤ وردت مرتين فى هذا الكتاب (ص ١١٤ و ١٤٥)، وأن شمس الكفاة خواجه أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى وزير السلطان مسعود كان قد توفى حين تأليف الكتاب ، ووفاته كانت سنة ٤٢٤ . (ارجع إلى صفحة ١٤٦ و ١٥٥) فلا يمكن أن يكون تاريخ التتمة مقدماً على هذه السنة ، والمؤلف مات سنة ٤٢٩ ؛ فتأليف الكتاب محصور بين سنتى ٤٢٤ و ٤٢٩ . وتتمة اليتيمة ، كاليتيمة ، اشتهرت منذ عهد المؤلف وصارت مرجع الأدباء . وقد اطلع عليها ياقوت الحموى ونقل عنها فقرات فى كتابه معجم الأدباء . وحاجى خليفة يقول تحت عنوان اليتيمة إن للكتاب ذيلاً ألّفه الثعالبي، ويذكر اسمه صريحاً ، ولكن هذا الاسم « تتمة اليتيمة» حرّف إلى «يتيمة اليتيمة» فى كشف الظنون المطبوع . وابن خلكان كذلك اطلع على هذا الكتاب وذكره فى ترجمة أبى محمد عبد المحسن بن محمد الصورى (جـ ١ ص ٤٢٨ — ٤٢٩ من طبعة باريس) ، وقد نقل قطعة من الشعر نسبها الثعالبي فى التتمة إلى أبى الفرج بن أبى حصين القاضي الحلبيّ (راجع ص ٦٨ من هذا المتن) ثم اعترض على مؤلف التتمة وقال هذه الأبيات لعبد المحسن الصورى ، رأيتها فى ديوانه ، وأخطأ الثعالبي فى نسبة أشياء الى غير أهلها فيحتمل أن تكون هذه الفقرة منها

قلنا إن كتاب التتمة كان فى يد ياقوت الحموى . وقد نقل منه ياقوت فقرات بعينها ، ومن ذلك نبذة فى ترجمة أبى العلاء المعرى (جـ ١ ص ١٧٢) ، وأبى على بن مسكويه (جـ ٢ ص ٩) والسيد المرتضى (جـ ٥ ص ١٧٥) ، وأبى جعفر محمد بن اسحاق البجائى (جـ ٦ ص ٤١٢) وغير ذلك . وليس خروجاً عن الموضوع أن أنبه هنا الى مسألة : ينقل ياقوت فى معجم الأدباء (جـ ١ ص ١٧٢) أبياتاً رواها الثعالبي لأبى العلاء المعرى ، ثم يقول : قال وأنشدنى لنفسه : « لست أدرى ولا المنجم يدرى » الى آخر القطعة

وهذه القطعة ، كما يتبين من هذا الكتاب (صفحة ١٠) لأبى القاسم المحسّن بن عمرو بن المعلى الذى يذكره الثعالبي فى التتمة بعد أبى العلاء المعرى بلا فاصل لا لأبى العلاء المعرى . وراوى القطعة المذكورة أبو يعلى البصرى لا أبو المحسن الدانى المصّيصى الذى يروى عنه الثعالبي ويتبعه ياقوت ، أخبار المعرى وأشعاره . فيفهم من هذا أن نسخة التتمة التى كانت فى يد ياقوت فيها نقص ، أسقط كاتبها بعد أخبار أبى العلاء المعرى اسم أبى القاسم المحسن بن عمرو بن المعلى . وقد رأيت هذه الأشارة جديرة بالذكر هنا لتصحيح هذا الموضع من معجم الأدباء المطبوع

النسخة التى بأيدينا صورة من نسخة مخطوطة وحيدة فى مكتبة باريس مكتوبة بخط نسخ جميل . وهى ملحقة بأجزاء التتمة كلها فى جلد واحد يحوى ٥٩١ ورقة أى ١١٨٢ صفحة ورقمه (Arabe 3308) . وتشغل أقسام التتمة الأربعة من صفحة ٤٩٨ إلى ٥٩١ . وقد طبعنا ها فى جزءين لأسباب نذكرها بعد

نسخة باريس مؤرخة ١٧ صفر سنة ٩٨٩ ؛ وإذا استثنينا أغلاطا كتابية وسقطاً قليلا ، فالنسخة فى نهاية الجودة والصحة

ثم ختم كلامه بقوله : والمرجو أن تقع هذه الخدمة الصغيرة موقع القبول عند الأدباء وينظروا اليها بعين الرضا والأنصاف

عبد الوهاب عزام

(١) فى نسخة عند التاشر من الجلد الرابع لليتيمة مقدمة ليست فى طبعة دمشق . فى هذه المقدمة يقول الثعالبي إنه أنهى ثلاثة أرباع الكتاب ثم تأخر ختمه أى كتابة الربع الأخير مدة بما طرأ من الحوائل والدوائر ، ولزم من الأسفار حتى نالة فيض الأمير أبى العباس مأمون خوارزمشاه . فلما رأى شوقه العظيم إلى إتمام الكتاب أتمّه برسم خزانة كتبه

ووفاة أبى العباس سنة ٤٠٧ ، فتاريخ ختم النسخة الآخرة من يتيمة الدهر متقدم على هذا التاريخ . وقد ذكر أيضاً فى هذا الكتاب المحرم سنة ٤٠٢ ، فاتضح أن تحرير النسخة الآخرة لم يكن قبل هذه السنة (٤٠٢)